تفسير إبن كثير

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى االله عليه وسلم) قل) يا محمد : (يا أيها الناس) وهذا خطاب للأحمر والأسود ، والعربي والعجمي ، (إني رسول االله إليكم جميعا) أي : جميعكم ، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين ، وأنه مبعوث إلى الناس كافة ، كما قال تعالى : (قل االله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) [الأنعام : 19] وقال تعالى : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) [هود : 17] وقال تعالى : (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) [آل عمران : 20] والآيات في هذا كثيرة ، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر ، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه ، صلوات االله وسلامه عليه ، رسول االله إلى الناس كلهم .قال البخاري ، رحمه االله ، في تفسير هذه

الآية : حدثنا عبد االله ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وموسى بن هارون قالا حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد االله بن العلاء بن زبر حدثني بسر بن عبيد االله ، حدثني أبو إدريس الخولاني قال : سمعت أبا الدرداء ، رضي االله عنه ، يقول : كانت بين أبي بكر وعمر ، رضي االله عنهما ، محاورة ، فأغضب أبو بكر عمر ، فانصرف عمر عنه مغضبا ، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له ، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه ، فأقبل أبو بكر إلى رسول االله صلى االله عليه وسلم - فقال أبو الدرداء : ونحن عنده - فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم " أما صاحبكم هذا فقد غامر " - أي : غاضب وحاقد - قال : وندم عمر على ما كان منه ، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى االله عليه وسلم وقص على رسول االله صلى االله عليه وسلم الخبر - قال أبو الدرداء : وغضب رسول االله صلى االله عليه وسلم وجعل أبو بكر يقول : واالله يا رسول االله لأنا كنت أظلم ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " هل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ إني قلت : يأيها الناس ، إني رسول االله إليكم جميعا ، فقلتم : كذبت وقال أبو بكر : صدقت " . انفرد به البخاريوقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن

مقسم ، عن ابن عباس [رضي االله عنه] أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي - ولا أقوله فخرا : بعثت إلى الناس كافة : الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي ، فهي لمن لا يشرك باالله شيئا " إسناده جيد ، ولم يخرجوه .وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا بكر بن مضر ، عن أبي الهاد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول االله صلى االله عليه وسلم عام غزوة تبوك ، قام من الليل يصلي ، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه ، حتى إذا صلى انصرف إليهم فقال لهم : " لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلي ، أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه ، ونصرت على العدو بالرعب ، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملئ مني رعبا ، وأحلت لي الغنائم آكلها وكان من قبلي يعظمون أكلها ، كانوا يحرقونها ، وجعلت لي الأرض مساجد وطهورا ، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت ، وكان من قبلي يعظمون ذلك ، إنما كانوا يصلون في بيعهم وكنائسهم ، والخامسة هي ما هي ، قيل لي :

سل ; فإن كل نبي قد سأل . فأخرت مسألتي إلى يوم القيامة ، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا االله " إسناد جيد قوي أيضا ولم يخرجوه .وقال أيضا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى الأشعري ، رضي االله عنه ، عن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني ، فلم يؤمن بي ، لم يدخل الجنة "وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر ، عن أبي موسى قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي رجل من هذه الأمة : يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار "وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو يونس - وهو سليم بن جبير - عن أبي هريرة ، عن رسول االله صلى االله عليه وسلم ، أنه قال : " والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة : يهودي أو نصراني ، ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار " . تفرد به أحمدوقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، رضي االله عنه ، قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أعطيت خمسا : بعثت إلى الأحمر والأسود ،

وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ، ونصرت بالرعب شهرا وأعطيت الشفاعة - وليس من نبي إلا وقد سأل الشفاعة ، وإني قد اختبأت شفاعتي ، ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك باالله شيئا "وهذا أيضا إسناد صحيح ، ولم أرهم خرجوه ، واالله أعلم ، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين أيضا ، من حديث جابر بن عبد االله قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي [صلى االله عليه وسلم] يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس عامة "وقوله : (الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت) صفة االله تعالى ، في قوله : رسول االله أي : الذي أرسلني هو خالق كل شيء وربه ومليكه ، الذي بيده الملك والإحياء والإماتة ، وله الحكم .وقوله : (فآمنوا باالله ورسوله النبي الأمي) أخبرهم أنه رسول االله إليهم ، ثم أمرهم باتباعه والإيمان به ، (النبي الأمي) أي : الذي وعدتم به وبشرتم به في الكتب المتقدمة ، فإنه منعوت بذلك في كتبهم ; ولهذا قال : (

النبي الأمي الذي يؤمن باالله وكلماته) أي : يصدق قوله عمله ، وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه) واتبعوه) أي : اسلكوا طريقه واقتفوا أثره ، (لعلكم تهتدون) أي : إلى الصراط المستقيم .